دراسة لشاهد قبر ونص تأسيس للإمام المنصور بالله الحسين في القبة الضريحية بمسجد الأبهر بمدينة صنعاء

علي سعيد سيف

المقدمة

تعد الدراسات الخاصة بالكتابات المنقوشة على الجص، والحجر، والخشب من الموضوعات الهامة في الدراسات الأثرية فهي تعد المرجع المعتمد عليه في التأريخ وإبراز الحقيقة، وتلقي الضوء على معلومات تاريخية مهمة، إذ نجد فيها الاسم، والتاريخ، والأمر بالبناء، وتاريخ البدء في البناء، والانتهاء منه، وتوقيع الكاتب وغيره.

وموضوعنا يندرج تحت هذا النوع من الدراسات ألا وهو الكتابات من حيث المضمون والمسمى "دراسة لشاهد قبر ونص تأسيس للإمام المنصور بالله الحسين في القبة الضريحية بمسجد الأبهر بصنعاء" وهو بحث يعد محاولة لإلقاء الضوء على تلك الكتابات المنقوشة على جدران القبة والشاهد والنص، وإبراز أهمية تلك الكتابات من الناحية التاريخية إذ أنها تحتوي على معلومات مهمة منها ذكر اسم ولقب المنصور بالله الحسين وتاريخ وفاته والتوسعة التي قام بها في مسجد الأبهر وبناء القبة الملحقة به والصرح، كما أنها تشير إلى سبب هذه التوسعة إضافة إلى أنها تنص على أن الإمام استثنى الجزء الجنوبي الشرقي من القبة ليكون برسم دفنه بعد وفاته إن حصلت الوفاة في صنعاء أو بالقرب منها، كما أنها أشارت إلى أن مشيد قبة المتوكل هو المنصور وليس أباه المتوكل إذ من المتعارف عليه أن قبة المتوكل الواقعة في باب السباح تنسب إلى المتوكل على الله القاسم أبي المنصور.

وهذا البحث قد اتبع فيه الباحث المنهج الوصفي التحليلي للقبة وكتاباتها والشاهد ونصوصه ونص التأسيس ونقوشه.

كما اعتمد البحث على العديد من المراجع والمصادر التي خدمته من قريب وبعيد إلا أن المعول عليه كانت تلك الكتابات التي أمدتنا بمعلومات كافية ووافية كما سبق، أما من ناحية المراجع فقد كان الاعتماد عليها من الناحية التاريخية ومنها تاريخ اليمن عصر الاستقلال لحسام الدين بن القاسم وهو مؤرخ معاصر وكاتب سيرة المنصور المسماة طيب أهل الكسا، ونشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف للقاضي محمد بن محمد زبارة، وكتاب الحجري مساجد صنعاء، وغيره كما هو مبين في متن البحث

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى محاور هي:

١) دراسة وصفية تحليلية للقبة الضريحية وما تحمله من نصوص كتابية،

٢) دراسة وصفية تحليلية لنصوص الشاهد،

٣) دراسة وصفية تحليلية لنصوص النص التأسيسي، متبعًا ذلك بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث علمًا أن الدراسة بحد ذاتها جديدة غير مسبوقة قامت بقراءات لتلك النصوص، ثم قائمة بأسماء المراجع التي اعتمدت في البحث وقائمة بالأشكال والصور التوضيحية.

الموقع

تقع القبة الضريحية في الجهة الجنوبية الغربية من مسجد الأبهر الذي يقع في الجهة الجنوبية من مدينة صنعاء القديمة، جنوبي الطريق النافذة من السائلة إلى جامع صنعاء الكبير، وهذا المسجد يعرف قديمًا بمسجد بنت الأمير أمرت بعمارته السيدة فاطمة بنت الأمير الأسد إبراهيم بن حسين بن أبي

الهيجاء السراوري رأس أكراد ذمار في سنة ٧٧٦هـ وهي زوج الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن الإمام المهدي علي بن محمد (ت) سنة ٧٩٣هـ.[١]

منشئ القبة

يذكر الحجري أن الإمام المنصور بالله الحسين بن الإمام المتوكل على الله القاسم بن حسين بن المهدي المتوفى سنة١١٦١هـ زاد في مسجد الأبهر زيادة نافعة مثل الأصل وزاد في الصوح (الصحن).[٢]

والإمام المنصور بالله الحسين بن المتوكل على الله القاسم بن حسين، كان مولده في ثالث عشر ذي القعدة سنة ١١٠٧هـ، وتلقى تعليمه الأول على يد والده ثم تتلمذ على يد شيوخ عصره ووصف بأنه كان جوادًا شجاعاً حافظاً للقرآن عن ظهر قلب، كثير التلاوة له وكان يجمع القراء للتلاوة بحضرته، محبًا للعلماء مُعَظِمًا لهم، بويع له بالخلافة عند وفاة والده بصنعاء في رمضان سنة ١١٣٩هـ[٣] بينما يشر بن القاسم إلى أنه لما مضت من شوال ليلات وجاءت الجمعة، برز الحسين بن المتوكل بدار الجامع، ودعا الناس إلى البيعة لنفسه فبايع من حضر،[٤] وتنازع هو والسيد العلامة محمد بن اسحق بن المهدي الذي دعا لنفسه وتلقب بالناصر وبايعه علماء اليمن ورؤساءها، ومنهم المنصور الذي بايعه على شروط اشترطها، فلم يقع الوفاء منه فاستمر المنصور على دعوته وغلب على اليمن وظفر بجيش الناصر وأسر أولاده وإخوته وقرابته، كما اجتمع الناس على مبايعة المنصور إلا أخوه السيد أحمد بن المتوكل في مدينة تعز، ولم يزل الحرب بينهم إلى أن مات المنصور إلا أنه لم يدع لنفسه وتأخر بعد موت أخيه نحو سنة ثم بايع ولده العباس،[٥] وقد خلَّف المنصور آثارًا خالدة منها عمارة منارة مسجد موسى بأعلى مدينة صنعاء حيث أمر بعمارتها سنة ١١٤٨هـ ودفع في عمارتها ٦٠٠٠ ريال، وأرخ لذلك الأديب قاسم بن يحي الأمير حيث قال:

يـا حبـذا منـــارة	فـاقت على كل بنـا
قد أكسبت من شادهـا	فخـرا وأجـرا وثنـا
ومن حمى البيض والسمر	الغـوا لي أليمنـا
وهنـــه مؤرخـــا	قد حـاز ذكرا حسـنا[٦]

ومن آثاره الخالدة زيادة مسجد الأبهر والقبة التي نحن بصددها والتي أمر ببنائها سنة ١١٤٥هـ وكملت في حياته وجعل فيها ضريحه وأمر بصَلْ صرح المسجد (أي جعل له بلاطاً من الحجر) كما أشار إلى ذلك النص المنقوش على الجدار الغربي للمسجد من الخارج حيث نص على:

١) الحمد لله رب العالمين وبعد فهذا الصرح

٢) المصلول بالحبش (مما سبله) المولى أمير المؤمنين

٣) حفظه الله فحرمته كالمسجد وصلى الله على محمد واله (صورة ١، شكل ١).

صورة ١ النص التأسيسي للصرح (تصوير الباحث)

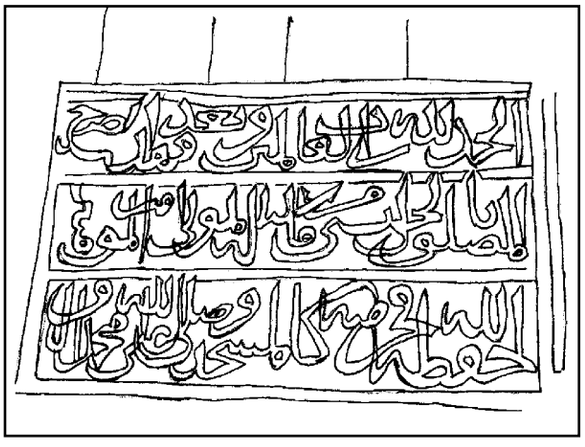

شكل ١ يوضح النص التأسيسي للصرح، عمل الباحث

وفي سنة ١١٤٦هـ ابتدأ الإمام بعمارة دار سعدان بمدينة صنعاء وكانت وفاة المنصور بصنعاء لسبع بقين من ربيع الأول سنة ١١٦١هـ ودفن في قبته التي أعدها لنفسه جنوبي مسجد الأبهر.[٧]

وصف القبة: (صورة ٢، شكل ٢)

تقع القبة في الجهة الجنوبية للمسجد ملاصقة لجداره الغربي، وهي عبارة عن بناء مربع الشكل تقريبًا طول ضلعها من الخارج ٨ م ومن الداخل ٦,٥م وترتفع جدرانها حوالي ٧,٧٠م يقوم عليه قبة نصف كروية ترتفع فوق جدران القبة بنحو ٢,١٠م ويتصدر جدارها الغربي مدخل عرضه ١,٤٠م وارتفاعه ٢,٤٠م يعلوه حنية صماء معقودة بعقد نصف دائري، ويغلق عليه باب خشبي مكون من مصراعين وهو حديث نسبياً، يكتنفه من الجانبين نافذة عرضها ٨٥سم وارتفاعها ١,٢٠م يعقد عليها عتب من الحجر ويعلو كل نافذة حنية صماء معقودة بعقد نصف دائري وضع المدخل والنافذتين داخل حجور بسيطة وقد غطيت النافذتين من الخارج بمصبعات حديدية، هذا وتنتهي جدران القبة بزخرفة على هيئة صف من زخرفة التسنين، كما زين الركن الجنوبي الغربي للقبة بشرفة على هيئة الورقة الثلاثية، وتقوم القبة فوق مثمن (رقبة القبة) فتح فيها نوافذ مربعة الشكل غطيت بالقمريات (القمريات هي التي تصنع من الرخام بعد ترقيقه بحيث يسمح للضوء بالدخول) وقد اتخذت القبة الشكل النصف كروي بشكل منتظم تظهر للشاهد وكأنها كرة قسمت نصفين، كما وضع في سمتها ميل معدني زين بزخرفة كتابية نصها لفظ الجلالة، وفيها عمد البناء إلى بنائها من الحجر وبنوعين منه هما حجر الحبش الأسود (البازلت) والذي استخدم في معظم بنائها والثاني وهو حجر الطف الأحمر، وقد بنيت به الأجزاء العلوية بحيث شكل ما يعرف بالبناء الأبلق أو المشهر.

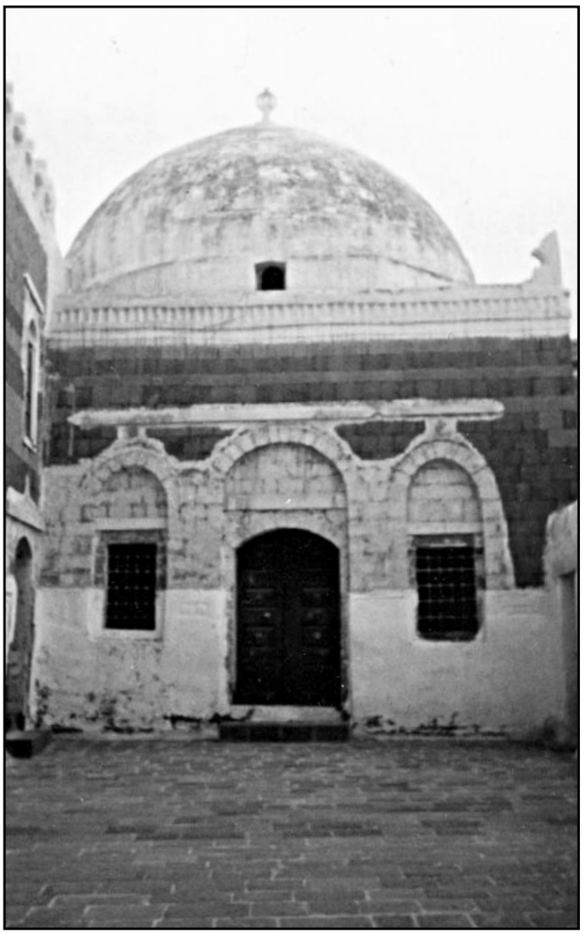

صورة ٢ منظر عام للقبة الضريحية بمسجد الأبهر (تصوير الباحث)

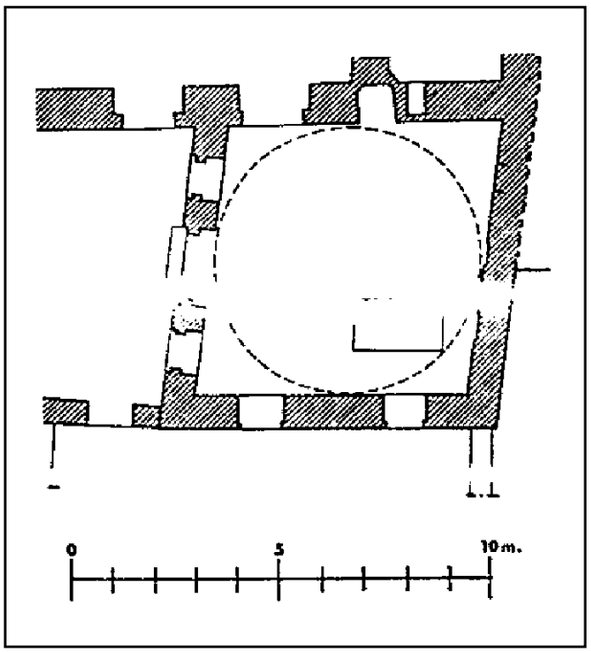

شكل ٢ مسقط أفقي للقبة الضريحية بمسجد الأبهر (عن البعثة الأثرية الإيطالية)

ويتم الولوج إلى داخل القبة عن طريق أحد مدخليه: المدخل المذكور آنفًا والذي يقع في جدارها الغربي أما الآخر فيفتح في الجهة الغربية من جدارها الشمالي وجدار المسجد الجنوبي، وذلك من خلال الزيادة التي أمر بها المنصور سنة ١١٤٥هـ، وهو عبارة عن فتحة مستطيلة الشكل عرضه ١٢٠سم وارتفاعه ١٨٠سم يعقد عليه عتب من الحجر، وهذين المدخلين يفضيان إلى قاعة مربعة الشكل تقريبا طولها ضلعها ٦,٥م، يتصدر جدارها الشمالي محراب.

المحراب (صورة ٣، شكل ٣)

عبارة عن حنية عرضها ٩٠سم وعمقها ٩٧سم وارتفاعها ١٩٥سم توجت بقبو برميلي، وزينت جدرانها من أسفل بزخرفة على هيئة محاريب مسطحة ذات عقود مفصصة شغلت كوشاتها زخارف نباتية متناظرة قوامها ورقة نخيلية في الوسط متجهة برأسها إلى الأسفل، ويخرج منها فرعان نباتيان منحنيان ليتصل كلا منهما بورقة نخيلية، ويحف بالحنية وصدرها على هيئة عقد شريط كتابي نفذ بخط الثلث وبالحفر البارز ينص على ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[٨]

كما يتصدر الحنية خرطوش زين بزخرفة نباتية قوامها غصن نباتي أفعواني تخرج منه أوراق نخيلية وأوراق عنب.

أما سقف الحنية المقبي فقد زينه الفنان بالزخرفة الهندسية المتكررة قوامها مربعات تلتقي مع بعضها بواسطة نجمة ثمانية زينت أوساطها بأوراق نباتية منها المراوح النخيلية والأوراق الثلاثية بهيئات مختلفة، ويعلو الحنية شريط كتابي نفذ بخط الثلث بالحفر البارز نصه ﴿لا إله إلا الله محمد رسول الله﴾شكل هذا الشريط مع الحنية كوشات زينت بزخارف نباتية تتشابه مع زخارف الحنية، ويقوم عليه عقد نصف دائري زينت واجهتها بنص كتابي نصه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، أما باطن العقد فيشغله ترس زين وسطه بكتابة نصها:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

ويحيط بالحنية شريط عريض زين بكتابات نفذت بخط الثلث نصها:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ

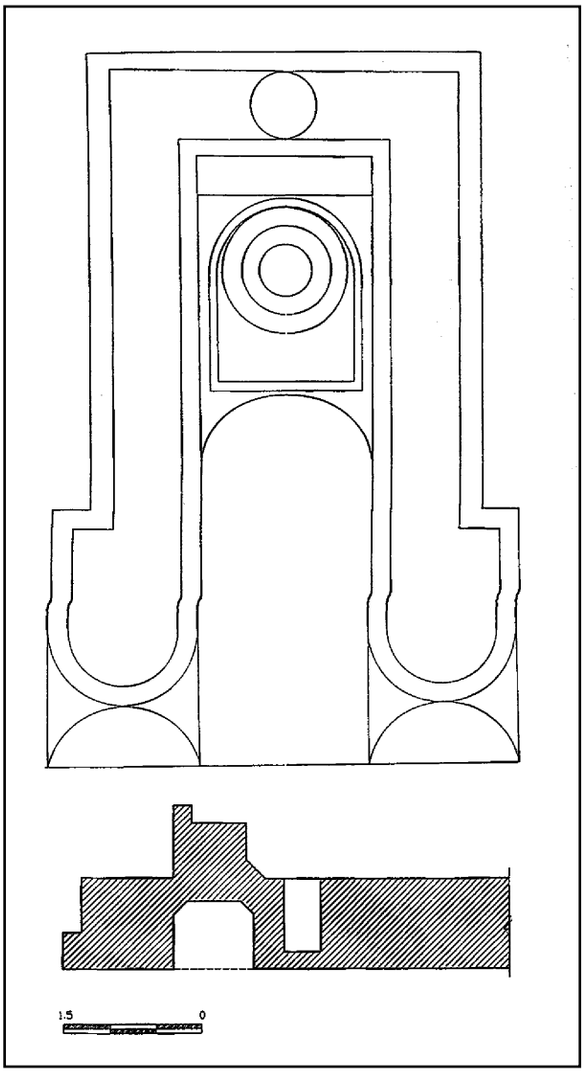

شكل ٣.أ وضح شكل المحراب في القبة الضريحية (عن غيلان)

صورة ٣ واجهة المحراب بقبة الأبهر، تصوير الباحث

صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا'.[٩]

بينما يكتنف الشريط من الجانبين شريط زخرفي قوام زخرفته غصن نباتي أفعواني الحركة تخرج منه أوراق نباتية تتشابه مع سابقتها في تجويف الحنية.

هذا ونجد أن كتلة المحراب قد تعرضت للتجديد والتغيير مما أفقدها القيمة الأثرية حيث غيرت منها الأشرطة التي تحيط بالحنية، أما باطن الحنية فما زالت تحمل زخارفها الأصلية، كما أن المجدد لم يلتزم حتى بالنصوص الكتابية التي تحيط بكتلة الحنية، فمثلا الترس والشريط الذي يدنوه والذي يعلو الحنية زين كما سبق وصفه في الحالة القديمة له، أما الوصف الحديث له فقد زين وسطه بالبسملة يحيط به سورة الإخلاص ويدنوه شريط نصه:

'**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**'

حيث كان نصه عبارة:

'**لا إله إلا الله محمد رسول الله**'

والتي أصبحت تعلو الترس كما كان يحيط بالترس عقد أصبح يحيط به دائرة زخرفية، وكانت تزين واجهة العقد كتابة نصها:

'**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**'.

هذا ويفتح في الجهة الغربية من الجدار الشمالي المدخل السالف الذكر، أما الجدران الأخرى فنجد أن الجدار الجنوبي يفتح فيه نافذتين مستطيلتي الشكل يغلق عليهما باب خشبي مكون من ضلفتين، ويغطي القاعة قبة أقيمت على حنايا ركنية حولت هذه الحنايا مربع القبة إلى مثمن الذي تحول بدوره إلى دائرة (رقبة القبة) وقد شُغلت بواطن الحنايا بزخارف عبارة عن فروع نباتية أفعوانية الحركة، ومراوح نخيلية وأوراق عنب ثلاثية وخماسية، وهذه الحنايا قد أطر بعضها الفنان بعقود مفصصة (صورة ٤، ٥)، كما يدنوا الحنايا أشرطة زخرفية نباتية.

وقد نهج المعمار اليمني في بناء القباب نهج سلفه بإقامة القبة النصف كروية بالاعتماد على الساحة المربعة التي تم الدفن فيها أما الحنايا الركنية فقد حولت المربع إلى مثمن لتستقر عليها القاعدة المستديرة للقبة ولذلك فقد بنيت جدران القبة من الحجر، أما منطقة الانتقال والقبة فبنيت من الآجر والجص وغطيت من الأعلى بمادة القضاض وكما أشارت إلى ذلك وقفيه مدرسة سلامة بتعز على أن قبابها قد بنيت من الآجر معقودة بأحرف من طين[١٠]

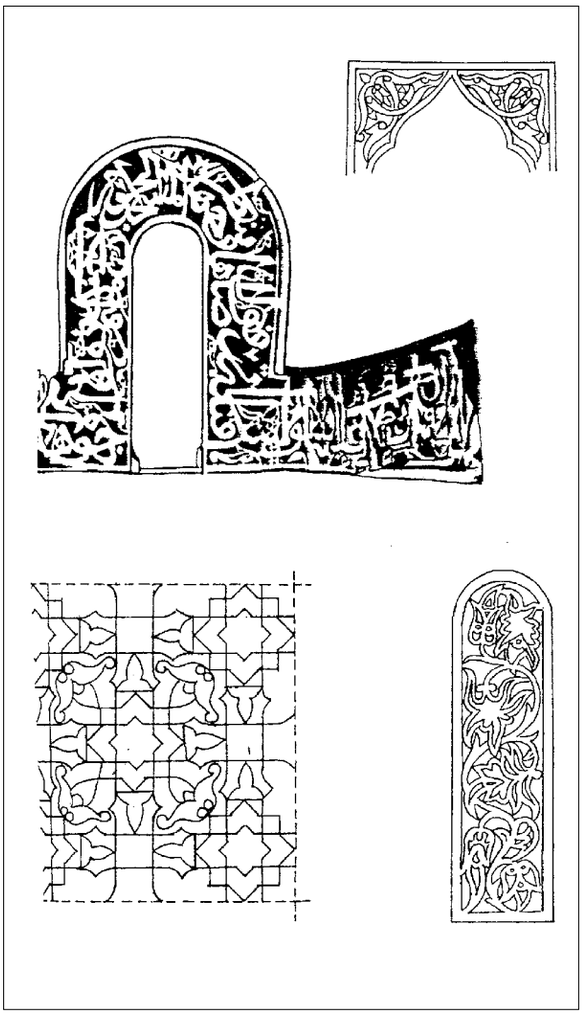

شكل ٣.ب يوضح زخرفة المحراب في القبة الضريحية (عن غيلان)

الزخارف

عمد الفنان إلى تزيين منطقة الانتقال بالزخارف النباتية والكتابية المنفذة بخط الثلث وذلك على النحو التالي:

أولاً: الزخارف الكتابية

نفذت هذه الكتابات في هذه القبة بشكل أشرطة تسير مع جدران القبة بواقع شريطين إحداهما أسفل منطقة الانتقال والآخر في أعلاها، إضافة إلى المناطق التي تتوسط الحنايا أي جوانب جدران القبة وهي على النحو التالي

أولاً: الأشرطة أعلى وأسفل منطقة الانتقال

الشريط الأعلى

وجاءت نصوصه عبارة عن آيات قرآنية تبدأ من منتصف الجدار الشرقي بحيث يسير مع عقود الحنايا ونصه كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم اللهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِه إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ [11]

يليها قوله تعالى:

أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [12]

ثم تليها الآيات من سورة النور

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ [13]

تليها الآيات من سورة التوبة

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ [14].

الشريط الأسفل

وفيه عمد الفنان إلى تقسيمه إلى مستطيلات (خراطيش) تكاد تشبه أشطار أبيات الشعر ويبدأ من الطرف الشرقي في الجهة الشمالية وينص على:

صورة ٤ توضح زخارف الحنية الشمالية الشرقية للقبة، (تصوير الباحث)

صورة ٥ توضح زخارف الحنية الجنوبية الغربية للقبة، (تصوير الباحث)

في الجهة الشمالية

'بسم الله الرحمن الرحيم/قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ/ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ / وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ / وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ /[١٥]

أما في **الجهة الغربية** فينص على :

حبذا الإمام المولى المنتقى / من لرسم الجور أضحى حاسما / الحسين القائم المنصور من / لأمور الخلق أمسى ناظما / طال في (خير) وتم في عمره / لم يزل بالشر ع حقا قائما /(أمرا فعل) نهج المعالي بالضبا / معلنا حقا مزيلا ظالما / بنيت ذا لله بناء خالصا / لم يزل حقا خير لأمرها /

وفي **الجهة الجنوبية** فينص على:

/ هي في المسجد هذا زينة / فهو للطاعة بيت وحما / وكذا شيد هذى قبة / قد حلت معمور ها فياف وسما / قل له لازلت في خير وفي / نعم ما المزن في الأرض هما / كن لمولاك تعالى شاكرا / فلكم أولاك فضلا نعما / وبها قد أتى تاريخه / اشكر الله تعالى دائما.

ا	ش	ك	ر	ا	ل	ل	ل	ه
١	٣٠٠	٢٠	٢٠٠	١	٣٠	٣٠	٣٠	٥

ت	ع	ا	ل	د	ا	ي	م
٤٠٠	٧٠	١	٣٠	٥	١	١٠	٤٠

وبجمع هذه الحروف بهذه الطريقة يكون المجموع ١١٤٥ وذلك تاريخ الإنتهاء من أعمال القبة.

أما **الجهة الشرقية** فنصه:

/ هذا مقام رفيع / مؤهل للعبادة / قد زاده الله فضلا / واختصه بالزيادة / وأسعد الله مولا/ أنشأه حسب الإرادة / أرخ الأزهار إذا / حقا دليل السعادة ' (شكل ٤).

ثانيًا: الكتابات التي في جوانب جدران القبة

أ) الجانب الشمالي (صورة ٦):

ويزين هذا الجانب ثلاثة أشرطة كتابية تعلو منطقة المحراب ونصوصها عبارة عن آيات قرآنية على النحو التالي :

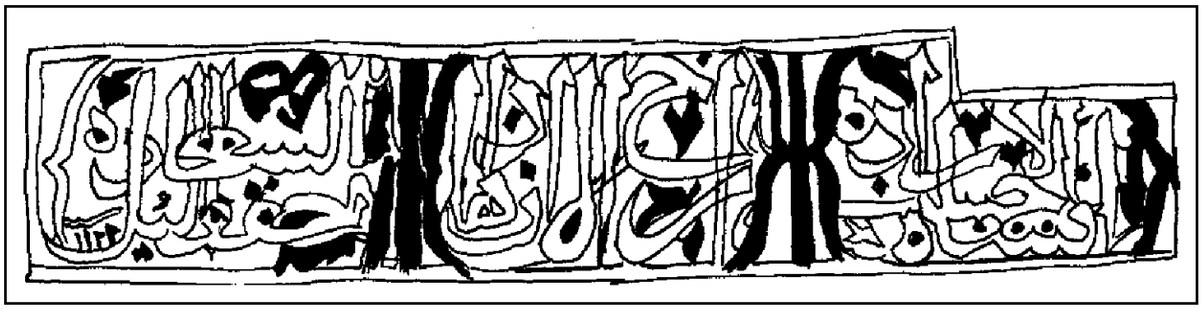

شكل ٤ يوضح التاريخ بحساب الجمل وينص على 'الإنهاء إذا حقا دليل السعادة'، (عمل الباحث)

صورة ٦ توضح الكتابات على الجانب الشمالي للقبة، (تصوير الباحث)

١) ’بسم الله الرحمن الرحيم إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

٢) وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا وَيَنصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا

٣) مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَللهِ جُنُودُ السَمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا‘[١٦] صدق الله العظيم

ب) الجانب الجنوبي (صورة ٧):

ويتكون من خمسة أسطر نصوصها كالتالي

١) بسم الله الرحمن الرحيم هو حسبي ونعم الوكيل

٢) قل للإمام أتى الإمام مهيبا من خصه مولى الملا بسعادة

٣) لما بنيت زيادة في مسجد مع قبة حليتها بإشادة

٤) يا درت (أجهر لديا) على متبتلا لازلت مسعود بكل إرادة

٥) ونظمت في تاريخها وبناه تمت لك الحسنى وزيادة (شكل ٥)

ت	م	ت	ل	ك	ا	ل	ح
٤٠٠	٤٠	٤٠٠	٣٠	٢٠	١	٣٠	٨
س	ن	ا	ب	ه	ا	و	ز
٦٠	٥٠	١	٢	٥	١	٦	٧
ي	ا	د	ة				
١٠	١	٤	٥				

صورة ٧ توضح الكتابات في الجانب الجنوبي من القبة، (تصوير الباحث)

ومجموع تلك الأرقام هو ١١٤٥ وذلك هو تاريخ الإنتهاء من أعمال البناء والزخرفة في القبة

جـ) الجانب الشرقي (صورة ٨):

ويتكون هذا الجانب من ستة أسطر ينص على :

١) بسم الله الرحمن الرحيم أنشا هذه الزيادة الحاكمة في، ..السعادة و كذلك.

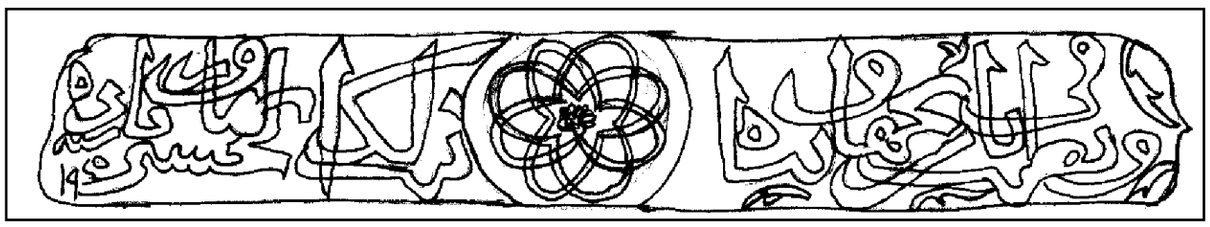

شكل ٥ يوضح التاريخ بحساب الجمل والذي ينص على ’تمت لك الحسنى بها وزيادة‘ (عمل الباحث)

٢) القبة المنورة والبقعة المطهرة ظل الله في الأرض والمتمكن من أحكامه في البسط والقبض والبرم.

٣) والنقض خيرة المختار وأسد الله الكريم ابن طاهر اللسان وحليف القرآن و السنة وسيد المسلمين المتوكل على الله

٤) رب العالمين أبو العباس الحسين بن أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين جاعلا ذلك عند الله من شتى الذخار عاملا بقوله.

٥) ﴿إِنَمَّا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهَّ مَنْ آمَنَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ ضاعف الله أجره ونفذ في الخافقين أمره وكان ابتداء العمارة في شهر رجب عام.

٦) أربع وأربعين ومائة وألف وانتهاها في شهر شعبان من شهور سنة خمس وأربعين ومائة وألف وصلى الله على محمد.

صورة ٨ وضح الكتابات على الجانب الشرقي للقبة، (تصوير الباحث)

وهذا التاريخ يشير إلى أن العمل استمر فيها سنة كاملة بدءً من شهر شعبان سنة ١١٤٤ وانتهاء في شهر رجب سنة١١٤٥.

د) الجانب الغربي (صورة ٩): ويتكون هذا الجانب من ستة أسطر هي :

١) أكرم بها من قبة شادها	**امرؤ أجير واضح المنهج**
٢) القائم المنصور من لم يزل	**إلى خالقه ملتجي**
٣) بلغة الله تعالى المنى	**فيمامضى فضلاوفيمايجي**
٤) أطال للأمير في عمره	**في نعمة في زمن أبهج**
٥) ونال في أخراه ملم ينول	**فهو له جنح الدجى ينتجي**
٦) بشرى لنا فيها ورجاحه	**ينال في الدارين ما يرتجي**

هذا ويمكن تحليل الألقاب الواردة على جدران القبة وهي على النحو التالي :

- **الإمام:** وتعني القدوة ويقال أمَّ القوم في الصلاة فهو إمام، وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾،[١٧] كما استعملت كلمة إمام كلقب لمن يتولى أمر المسلمين منذ عصر النبوة ثم أصبح يطلق على كبار رجال الدين وأهل الصلاح والزهد والعلم والشريعة، وقد جرى العرف على إطلاقه على سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلا أن أول من تلقب به هو إبراهيم بن محمد أول خليفة في الدولة العباسية [١٨] كما أن أول نقش ورد فيه كلمة إمام هو نص إنشاء قبة الصخرة سنة ٧٢هـ من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان، ولكن اللقب فيه أطلق على الخليفة المأمون[١٩] أما في اليمن فقد أطلق اللقب على الأئمة الزيدية وأول من تلقب به هو الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين المتوفى ٢٩٨هـ وظل مُستخدمًا حتى ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م وكان آخر من تلقب به هو الإمام أحمد بن حميد الدين، وقد ورد هنا ضمن ألقاب الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم، وذلك ضمن الكتابات التي تزين القبة الضريحية.
- **ظل الله في الأرض:** أطلق هذا اللقب على السلطان الظاهر بيبرس في نص إنشاء من سنة ٦٧٥هـ في برج الظاهر

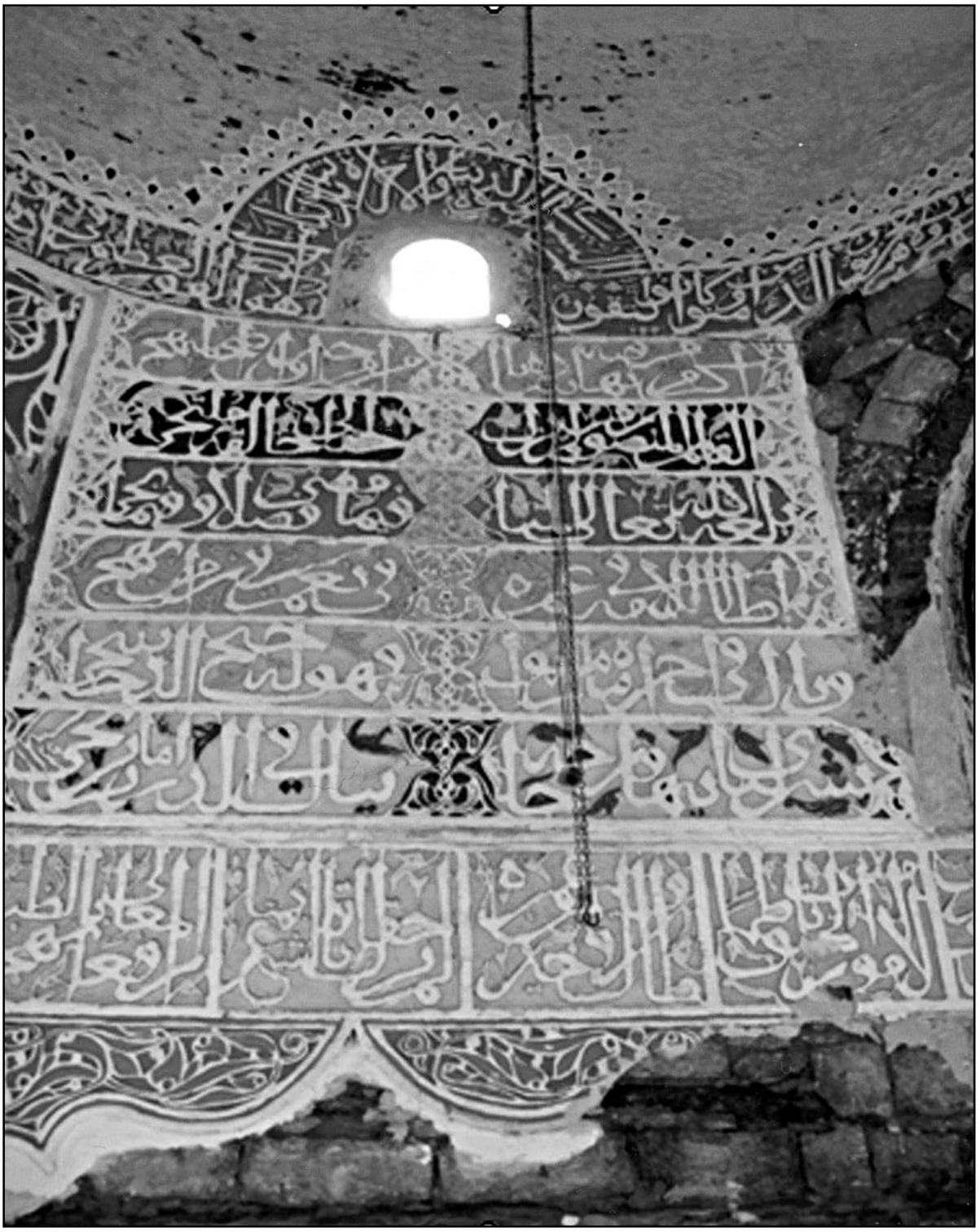

صورة ٩ توضح الكتابات في الجانب الغربي من القبة، (تصوير الباحث)

في الكرك، وربما أن بيبرس ورث هذا اللقب عن سلاجقة الروم الذين كانوا يطلق عليهم (ظل الله في الأرضيين) وظل الله في العالم، وهو يناسب إدعاء بيبرس للسيادة على العالم مفوضا من الخليفة العباسي[٢٠] وورد هنا كلقب للمنصور بالله الحسين المسلمين لأنها تشير إلى الشجاعة والبسالة، وبذلك صارت أكثر ملائمة من ألقاب التقوى والصلاح[٢١] وقد جاء هنا لقبا للإمام المنصور بالله الحسين

- **أسد الله:** لقب يرجع استعماله إلى صدر الإسلام حين أطلق على سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، أما كلمة أسد فنجد أن كتب المصطلح المملوكية قد خصصته للملوك الأجانب من غير المسلمين لأنها تشير إلى الشجاعة والبسالة، وبذلك صارت أكثر ملائمة من ألقاب التقوى والصلاح.
- **ابن طاهر اللسان:** يرد هذا اللقب لأول مرة على الشواهد والكتابات الأثرية، وربما أراد الكاتب أن يصف المنصور بأنه طاهر اللسان وذلك لما عرف عنه في المصادر التاريخية بأنه كان حافظا للقرآن الكريم إضافة إلى ذلك أردف بلقب حليف القرآن والحافظ للقرآن يكون طاهر اللسان دائما لذكر الله
- **حليف القرآن:** لقب يطلق على من هو دائم القراءة للقرآن، حيث نعت المنصور بأنه كان من حملت القرآن وأنه كان يجمع القراء لمدارستهم للقرآن وجاء لقبا له على الصفة التي تمتع بها المنصور، وقد تلقب بهذا اللقب الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود
- **أمير المؤمنين:** أمير في اللغة ذو الأمر والنهي وهو من ألقاب الوظائف، ويرجع استعماله إلى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، كما استعمل كلقب دال على الوظيفة لولاة الأمصار التابعة للخلافة الإسلامية، وأقدم نص ذكر فيه أمير يرجع إلى سنة ٦٩هـ على إحدى القناطر بالفسطاط أطلق على عبد العزيز بن مروان[٢٢] وفي اليمن أطلق على ولاة النبي على اليمن منذ تولية باذان الفارسي ووبر بن يحنس الأنصاري وغيرهم.

وقد جاء هنا مضافا إليه المؤمنين، وهو من الألقاب المركبة على لقب أمير، وهو ثاني لقب ظهر في الإسلام بعد الخليفة وأول من تلقب هو الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهذا اللقب يعطي بعض الصفة الدينية والسياسية، ومنذ عهد الخليفة عمر أصبح من ألقاب الخلفاء فصار يطلق على الخلفاء ومدعي الخلافة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وفي اليمن كان أول من تلقب به هو الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين ثم سار من بعده الأئمة الزيدية ومنهم إمامنا المنصور بالله الحسين.

- **المتوكل على الله رب العالمين:** المتوكل من الفعل (وكل) وهو الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره[٢٣] وكان أول من تلقب هو المتوكل على الله العباسي ٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٧-٨٦١م وقد أضيف عليه على الله رب العالمين أما في اليمن فقد عرف به شرف الدين يحي بن شمس الدين وأصبح لقبا خاصًا به، ثم توالى بعد ذلك التلقيب به إلى أن صار ضمن ألقاب القاسم بن الحسين والد المنصور الإمام الذي نحن بصدده.

ثانيًا: الزخارف النباتية

بما أن البحث يدور حول الكتابات فسوف نتطرق بشكل سريع للزخارف، فقد ازدانت منطقة الانتقال بالزخرفة النباتية وخاصة الحنايا الركنية، والتي جاءت عبارة عن زخارف قوامها فروع نباتية وأوراق اعتمدت في أساسها على المراوح النخيلية وأوراق العنب، وجاءت كل حنيتين متناظرتين متشابهتين يحيطها من الأسفل والأعلى أشرطة من زخرفة الأرابسك التي قوامها فروع نباتية متشابكة تحصر بداخلها أوراقا نباتية ثلاثية ذات فص طويل وأراق رمحية، كما يؤطر الحنايا عقوداً مفصصة، فضلاً عن ذلك يتدلى من كل جانب من جوانب الحنية

عقد مفصص زينت كوشاته بالزخرفة النباتية التي قوامها فروع وأوراق.

شاهد القبر (صورة ١٠، شكل ٦)

شاهد القبر عبارة عن لوح صنع من حجر الألبستر (الرخام) مستطيل الشكل طوله ٩٠سم وعرضه ٥٠ سم وصفته كالتالي:

يتوسط الشاهد عقد مدبب على هيئة محراب زين باطنه بأشرطة كتابية عددها ثمانية يتوسط هذه الأشرطة أشكال نجوم تبدو وكأنها تحدد أشطار أبيات شعر و نصها كما يأتي :

١- هذا ضريح

٢- المولى الذي جمع المفاخر وحاز

٣- من المجد ما افتخرت به الأواخر الصادق

٤- فيه المثل السائر ما ترك الأول للأخر

٥- أمير المؤمنين المشهور وسيد المسلمين المظفر المنصور

٦- أبي المهدي لدين الله المنصور بالله الحسين بن أمير

٧- المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين القسم بن

٨- الحسين بن أمير المؤمنين الموسر المهدي

ويدنو هذه الأشرطة مستطيل زين بأشرطة كتابية عددها خمسة نصوصها كالتالي:

صورة ١٠ منظر لشاهد قبر المنصور في القبة، (تصوير الباحث)

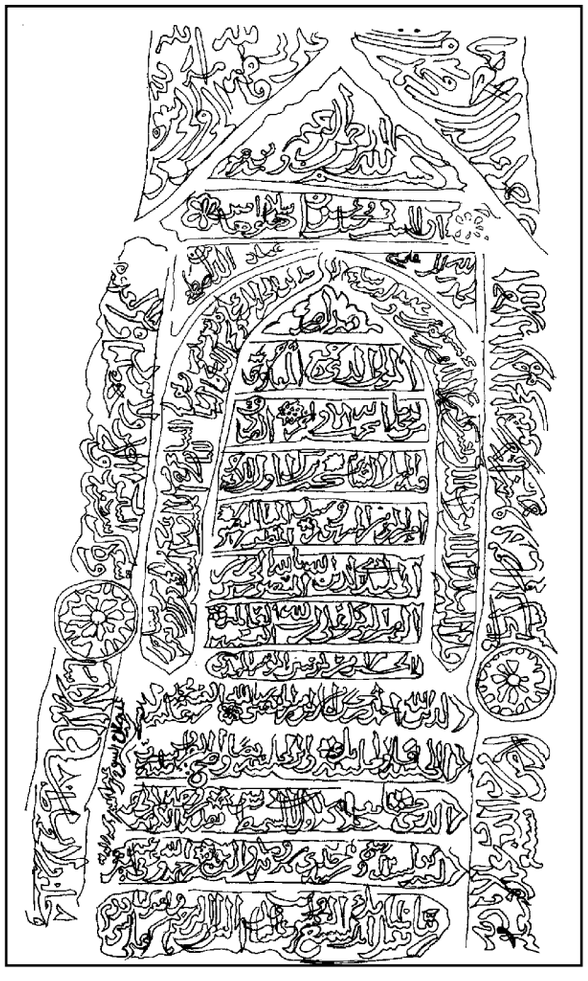

شكل ٦ يوضح كتابات الشاهد، (عمل الباحث)

١- لدين الله أحمد بن الحسين أمير المؤمنين المنصور بالله بن القاسم محمد عليهم السلام

٢- الخليفة حقا والخليفة بك وابن الخليفة أيضا (×) واضح الطرف يليه شرف

٣- الذي سمحتها خلائف كلال(×) السمط في رستق نقله روحه الكريمة إلى جنات

٤- النعيم يوم السبت ٢٣شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين ومائة وألف رحمة الله وعفى عنه آمين

٥- رَبَّنَا تَقَبَّلْ منَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

ويزن واجهة عقد الحنية شريط كتابي نصه في

أ- الجانب الأيمن

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء.

ب- الجانب الأيسر

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ.

ويعلو الحنية مستطيل زين وسطه بمثلث زين بكتابة نصها :

'بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيقي'

ويدنوه شريط كتابي نصه:

'إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ'

وقد كون المثلث والمستطيل كوشتي عقد رين الجانب الأيمن بكتابة نصها:

'لا إله إلا الله محمد رسول الله'.

أما الجانب الأيسر فقد نص على:

'علي ولي الله فاطمة أمة الله الحسن والحسين صفوة الله'

ويكتنف الحنية شريط من الجانبين نصه :

جـ) الجانب الأيمن

اللهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ.

د) الجانب الأيسر

وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

كما زينت كوشتي عقد الحنية فقد زينت بكتابات نصها في الجهة اليمنى:

'الحمد لله وسلام على'

وفي الجهة اليسرى:

'عباده الذين اصطفى'

توقيع الصانع

وهنا نجد أن الكاتب قد وقع على عمله هذا لكي يثبت حقه، وقد جاء توقيعه في الجهة اليسرى داخل الإطار نهاية السطر ١١ إلى نهاية السطر ١٥.

عمل أحمد بن صلاح السودي غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين (شكل ٧)[٢٤]

النص التأسيسي للقبة (صورة ١١)

النقش التأسيسي عبارة عن لوح مستطيل من حجر الألبستر (الرخام) طوله ٨٠ سم وعرضه ٥٨سم شكلت على هيئة حنية

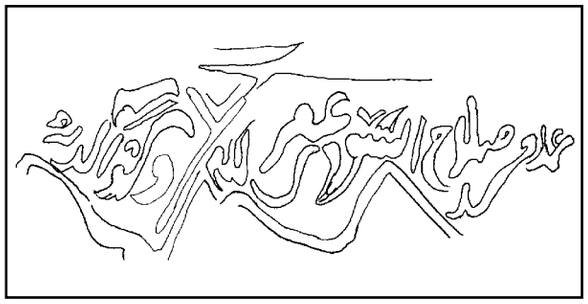

شكل ٧ وضح توقيع الصانع على شاهد القبر (عمل الباحث)

صورة ١١ منظر للنص التأسيسي في القبة، (تصوير الباحث)

معقودة بعقد مدبب زينت بكتابات على شكل أشرطة أفقية عددها ١٧ سطرا ونصوصها على النحو التالي :

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- الحمد لله الذي أثنى على من عمر مساجده ووسعها للعبادة و. ...

٣- ونظمه في سلك المهتدين الذين أتم لهم الحسنى وزيادة وصلى الله علي سيدنا محمد وآله الذين طابق سعيهم مراده

٤- وبعد فإنه لما استدعت حاجت الناس إلى مسجد الأبهر للطاعة لكثر المصلين فيه فرادى وجماعة.

٥- .... إلى ذلك بالقدح المعلا وأمر بتوسعه في جانبه العدني لم صلى مولانا أمير المؤمنين وسيد.

٦- المسلمين المنصور بالله رب العالمين الحسين بن أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين حفظه الله تعالى.

٧- وبفضل الله وإعانته تمت عمارة هذا المزيد كما يريده وأمر أيضا بعمارة قبة نفيسة من عدنية متصلة بالمسجد وصرخ غربي.

٨- رغبة في الثواب. .. ثم سبل هذا المعمور جميعه للصلاة وتلاوة القرآن المجيد إلا أنه استثنى. ...

٩- جزءا من عدني القبة من جهة المشرق يتسع القبر ذاته الكريمة بعد وفاته وهذا مقيد بحصول الوفاة في صنعاء أو في بلد غير بعيد عنها.

١٠- وإلا وكان هذا الجزء مسبلا كبقية المستثنى وفي ذلك قال بعضهم شعرا مسجد الأبهر فيه أراد مولانا المجد(*).[٢٥]

١١- قبة.... فيها الرحمن يعبد (*) ولقد فاز ومن وسع بيت الله ويسعد * ومن البشرى أتى تاريخه فضل مقصد(*) (سنة ١١٤٥هـ)

١٢- دام في أرغد عيش يومه يسجد اللغد هذا وأما الموضع الذي قد كان أستثنى لغير ذاته من القبة.

١٣- التي عمرها على ضريح والده[٢٦] أعاد الله من بركاته وسبلها لعبادة الله وتلاوة آياته فيكون لمن خلفه من أولاده.

١٤- النجباء النبلاء وسلك طريق آبائه الأبرار الفضلاء وكان له فضيلة علم وتقوى أو جهاد في سبيل عالم السر والنجوى.

١٥- كما ذلك المأمول من فضل الله تعالى وإلا كان ذلك الموضع مسبلا لذكر لله والصلاة هذا ما صدر منه.

١٦- حفظه الله للأنام قائلا عند التمام رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل.

١٧- صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين وأخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين نقش هذا في شهرصفر سنة ١١٤٥هـ.

ويكتنف الحنية من الجانبين إطار من الزخرفة الكتابية نصها

أ- الإطار الأيمن

'اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ.

ب- الإطار الأيسر

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ'

كما يدنو الحنية شريط زخرفي قوامه أوراق نباتية وفروع.

توقيع الصانع

يقع خارج الإطار الأيمن ونصه (عمل الفقير إلى الله الغني أحمد بن صلاح السودي وفقه الله لما يرضيه آمين).[٢٧]

التابوت (صورة ١٢)

جاء في وصية المنصور بالله الحسين بن المتوكل أنه استثنى جزء من عدني (شمال) القبة من جهة الشرق يتسع القبر ذاته الكريمة بعد وفاته وقيد ذلك بحصول الوفاة في صنعاء أو بلد قريب منها، وإلا كان هذا الجزء مسيلا كيفية القبة المستثنى منها، هذا وقد حصلت وفاة المنصور في مدينة صنعاء ولذا دفن المنصور في البقعة التي أوصى أن يدفن بها وهي الجزء الجنوبي الشرقي من القبة الضريحية التي أمر ببنائها وقد أقيم فوق ضريحه تابوت خشبي صنع من خشب الطنب وقد تعرض لهذا التابوت بالدراسة واليمن كل من (مصطفى شيحة، Guillemetteet Paul Bonnen Famt p.170) إلا أن الدكتور ربيع كان أكثر دقة وتفصيلاً في دراسته بالرغم من وجود بعض النقص في قراءة الكتابات وصفة هذا التابوت على النحو التالي فهو يتكون من أربعة مستويات:

المستوى الأول

يتكون من مستطيل طوله ٢,١٢م وعرضه ١,٢سم وارتفاعه ١٠٧سم زينت جوانبه بحشوات مستطيلة ومربعة على النحو التالي وسنبدأ بالجانب الشرقي لأن فيها البسملة وبداية آية الكرسي، وهو يتكون من قسمين الأعلى يتكون من حشوتين مستطيلي الشكل زينتا بزخرفة كتابية نصها:

١- بسم الله الرحمن الرحيم (صورة ١٣)

٢- الله لا إله إلا هو

أما القسم السفلي يتكون من أربع حشوت مستطيلة الشكل رأسية زينت بزخارف نباتية تتماثل كل حشوتين مع بعضهما أما الحشوتان اللتان على الجانبين قوام زخرفتها عبارة عن وريدات كبيرة ذات ستة عشرة بتلة تنتهي كل بتلة بشكل ورقة

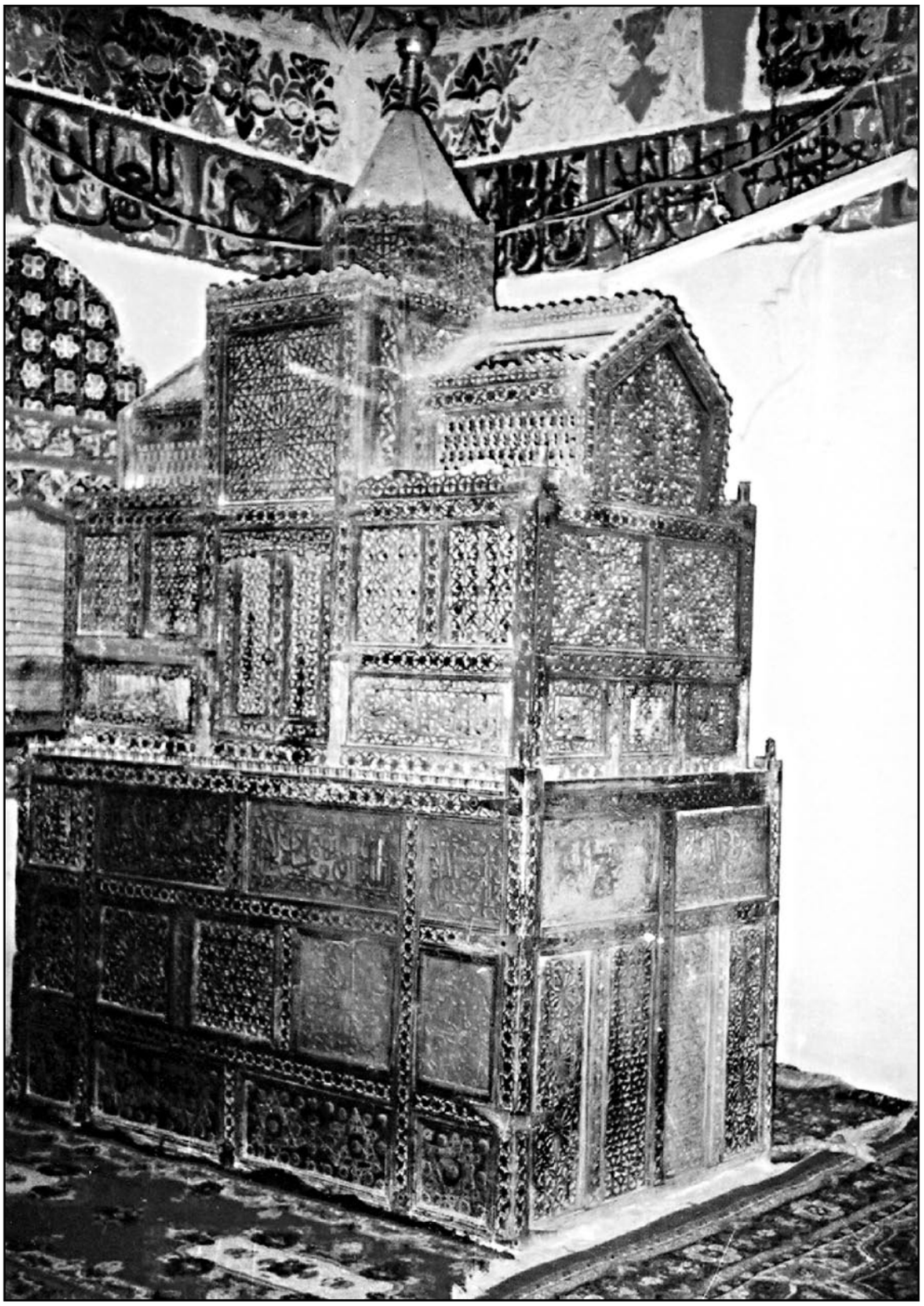

صورة ١٢ منظر عام لتابوت الأبهر في القبة، (تصوير الباحث)

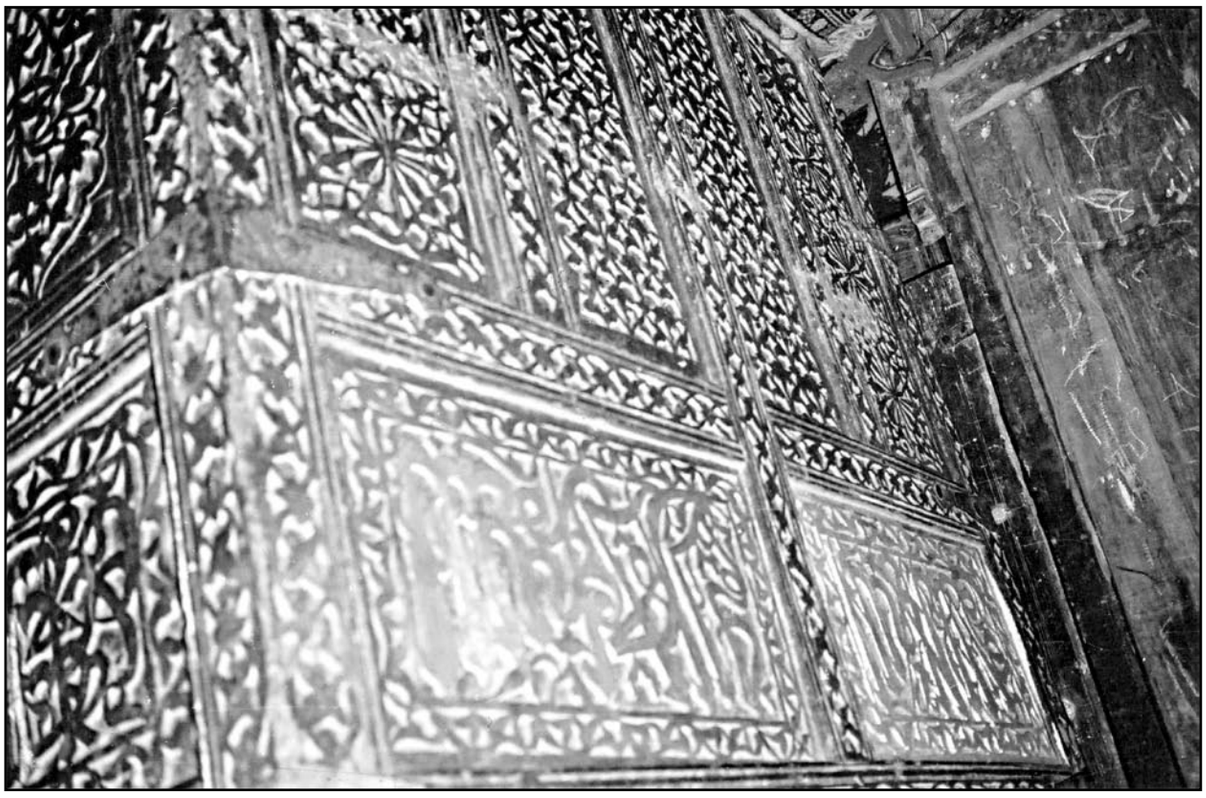

صورة ١٣ توضح الزخرفة الكتابية على التابوت (تصوير الباحث)

ثلاثية في كل حشوة ثلاث وريدات أما الحشوتان اللتان في الوسط فزخرفتهما عبارة عن أوراق ثلاثية وثنائية وأحادية تشترك مع بعضهما البعض، هذا وأطرت بأشرطة زخرفية قوامها أوراق وفروع نباتية.

الجهة الجنوبية

ينقسم هذا الجانب إلى ثلاثة أقسام:

أ- **الأعلى:** يتكون من أربع حشوات زينت بكتابات من آية الكرسي

١- الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٢- لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ٣- لَّهُ مَا فِي السَمَوَاتِ وَمَا ٤- الأَرْضِ.

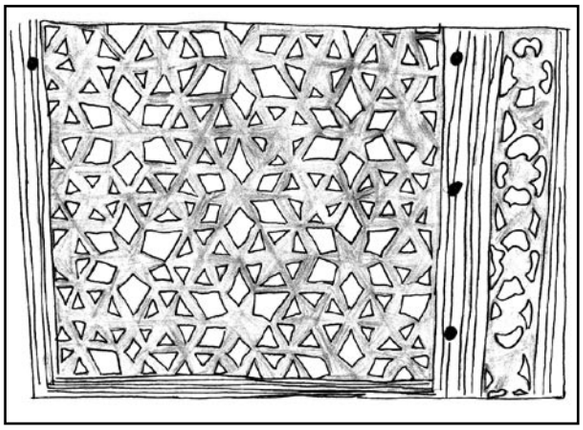

شكل ٨ يوضح الزخرفة الهندسية على التابوت (عمل الباحث)

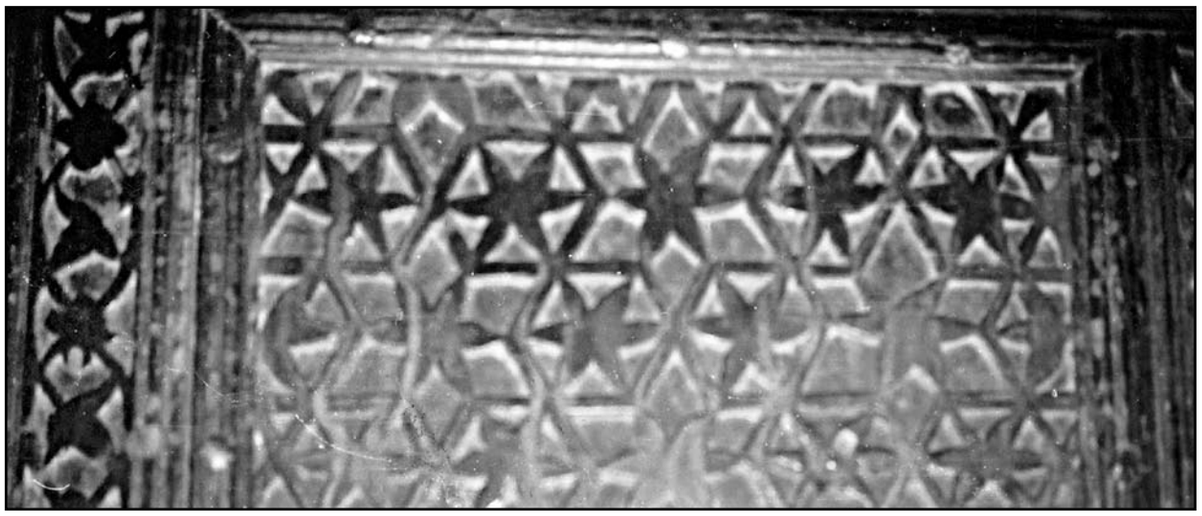

صورة ١٤ توضح الزخرفة الهندسية على التابوت (تصوير الباحث)

ب- **الأوسط:** ويتكون من خمس حشوات مربعة الوسطى منها شكلها زخرفية هندسية قوامها أشكال سداسية تلتقي مع بعضها عند الزوايا وتكون أشكالا نجمية سداسية وتحصر هذه الأشكال بداخلها أشكال سداسية، (صورة ١٤، شكل ٨)

أما الحشوات التي على يمين ويسار هذه الحشوة فتتماثل مع بعضها بحيث نجد كل حشوتين تتماثل مع بعضها، وقد زينت الحشوتين اللتين تكتنفان الحشوة السالفة الذكر بزخرفة الطبق النجمي المكون من ترس أخذ شكل الوردة المروحية المكون من ١٢بتلة يخرج منه اللوزات والكندات والتي اتخذت شكل الورقة الثلاثية التي تتجه برأسها إلى سمت الطبق (صورة ١٥، شكل ٩) أما الحشوتان الأخريتان فزينت كلا منهما بزخرفة عبارة عن وردة خماسية وسطية يكتنفها من كل جانب أوراقا ثلاثية وخماسية بتناسق بديع. (صورة ١٦، شكل ١٠)

جـ- **الأسفل:** ويتكون من أربع حشوات صفحت بشرائط نحاسية شكلت نجومًا سداسية بداخل مثلثين.

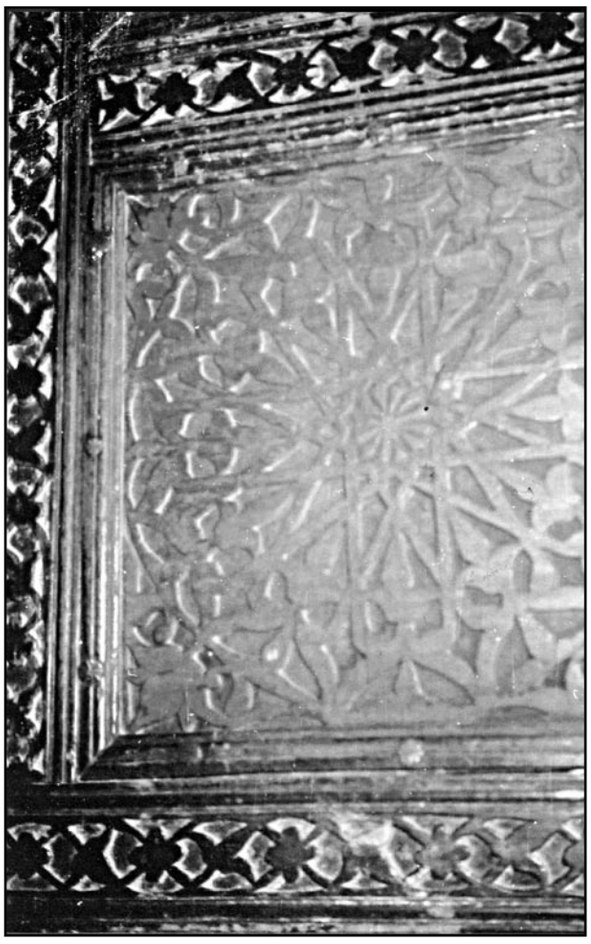

صورة ١٥ توضح زخرفة الطبق النجمي على التابوت (تصوير الباحث)

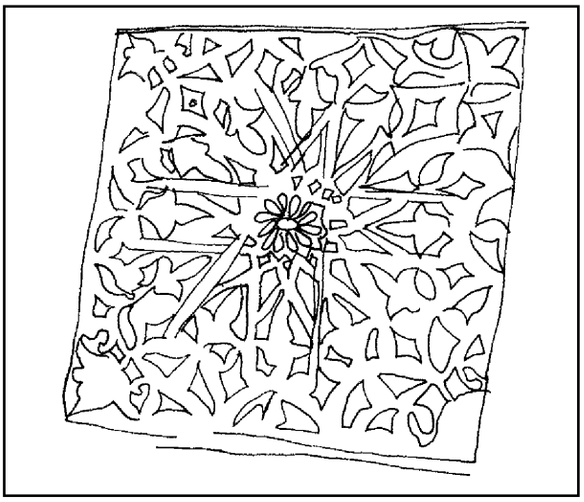

شكل ٩ يوضح شكل زخرفة الطبق النجمي على التابوت (عمل الباحث)

صورة ١٦ توضح الزخرفة النباتية على التابوت، تصوير الباحث

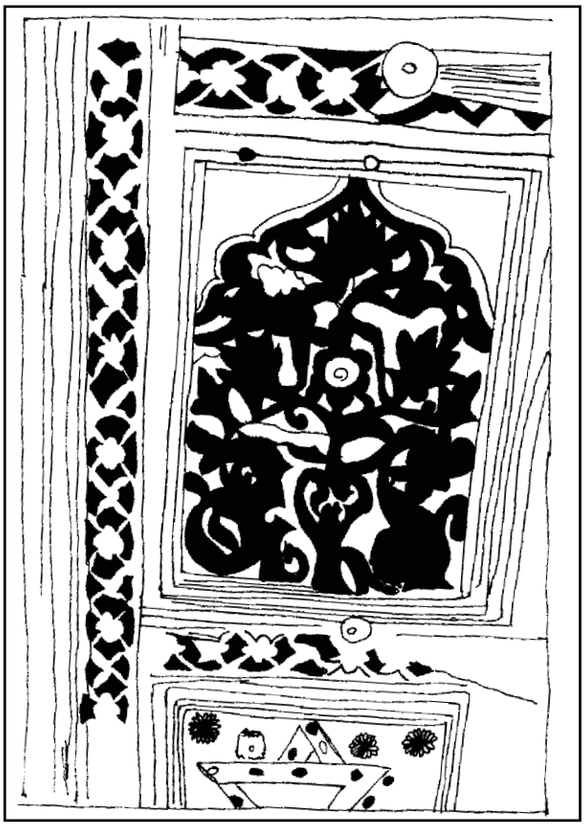

شكل ١٠ يوضح الزخرفة النباتية على التابوت، عمل الباحث

الجهة الغربية:

تتشابه مع الجهة الشرقية من حيث الشكل والزخرفة وتختلف عنها في النصوص الكتابية حيث نصت على:

١– ضِ مَن ذَا الَّذي

٢– يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْ

الجهة الشمالية

تتشابه مع الجهة الغربية من حيث الشكل والزخرفة وتختلف عنها من حيث النص حيث نصت على :

١– نِه يَعْلَمُ مَا ٢– بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ

٣– يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء ٤– وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَمَوات.

المستوى الثاني

يتكون من مستطيل طوله ١٧٠سم وعرضه ٨٢ سم وارتفاعه ١٠٠سم زينت جوانبه بزخارف كتابية ونباتية على الوجه التالي:

الجانب الشمالي

يتوسط هذا الجانب نافذة يعلق عليها ضلعين من الخشب زينت بالزخارف النباتية المفرعة قوامها أوراق ثلاثية اتخذت على شكل صفين وتتماثل الحشوات على جانبي النافذ بواقع ثلاث حشوات على جانب اثنتان علويتان وواحدة سفلية.

زينت الحشوتان العلويتان بالزخرفة النباتية المفرغة وهي تتشابه مع زخارف ضلفتي النافذة، أما الحشوة السفلية فقد زينت بكتابات مفرغة، اليمنى نصت على:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [٢٨]

أما اليسرى فتنص على

﴿وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾،

أي أن الفنان أكمل بها آية الكرسي التي وجد أغلب نصوصها على حشوات المستوى الأول.

الجانب الشرقي

يتكون من قسمين الأعلى زينت بحشوتين مربعتين شغلت بزخارف نباتية مفرغة، وأما القسم السفلي فقد زين بثلاث حشوات شغلتهما زخارف كتابية نصها:

١- الأَرْضِ رَبَّنَا ٢- مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً
٣- سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

الجانب الجنوبي

يتشابه مع الجهة الشمالية من حيث الشكل والزخرفة ويختلف معه من حيث النص الكتابي الذي ينص على حيث شغلت الحشوة اليمنى بالنص:

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ

والحشوة اليسرى شغلت بالنص:

مِنْ أَنصَارٍ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِ

الجانب الغربي

يتشابه مع الشرقي، ويختلف معه من حيث النصوص حيث نصت كتاباته على:

١- يمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرُّ ٢- فَآمَنَّا رَبَّنَا فَا ٣- غْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

المستوى الثالث

يرتد قليلاً عن المستوى الثاني، ويتكون من مستطيلين يتقاطعان مع بعضهما حيث يغطي الجانب الطويل منهما جمالون، كما زينت واجهتي هذا الجانب الشرقية والغربية بهيئة عقد منكسر زين باطنه بزخرفة نباتية قوامها الورقة الثلاثية يحيطها شريط كتابي اتخذ هيئة الهقد نصها في الجهة الغربية :

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الأَلْبَابِ﴾.

أما الجهة الشرقية فنصها:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

هذا وقد أكملت الأية في الجانب الشرقي من المستوى الثاني كما سبق، أما الجانب القصير فيتكون من المستطيل الذي يتقاطع مع السابق ويرتفع عن سقف المستطيل السابق ذي الشكل الجمالوني بنحو ١٥سم ويظهر منه واجهتيه الشمالية والجنوبية بحيث زينتا بزخارف هندسية تمثلت في عنصر الطبق النجمي المكون من ترس عبارة عن وردة تتكون من اثني عشر بتلة يليها اللوزات والكندات التي اتخذت شكل الورقة الثلاثية

صورة ١٧ توضح التاريخ بحساب الجمل أنشأه حسب الإرادة

المستوى الرابع

اتخذ هذا المستوى قمة التابوت والمكون من قبة مخروطية الشكل ترتكز على رقبة سداسية الأضلاع زينت جوانبها بزخرفة هندسية، ويتوج التابوت ميلا معدني من النحاس الأصفر ينتهي من الأعلى بشكل جوزة، هذا وقد عمد الفنان إلى تزيين الفواصل بين الحشوات بزخارف نباتية قوامها عبارة عن فرعين نباتيين يلتقيان مع بعضهما ليشكلا أشكالا بيضوية زينت بزخرفة الورقة الثلاثية والوريدات بالتبادل. هذا ويمكن أن نعطي بعض مميزات التابوت، فقد تميز بأن الصانع شكل جوانبه بطريقة بديعة بحيث قسم أجناب التابوت إلى حشوات أفقية ورأسية مما أضفى عليه مسحة جمالية، كما عمد الفنان إلى جعل كتابات التابوت كلها آيات قرآنية تبشر بالجنة ونعيمها وتحث على التفكير في خلق الله، وربما أن المنصور هو الذي أمر بأن يكون تابوته خال من الكتابة غير القرآن، وذلك لما اتصف به من أنه كان من حفظة القرآن ومحباً له فكان يدارس القراء كما نعت بحليف القرآن، عمد الفنان إلى أن أضاف لقب حليف القرآن إلى نصوص الشاهد ليدلل على أنه من حملت القرآن وجاءت كتابات التابوت كلها آيات قرآنية بوصفها ستوضع فوق قبره.

كما أتفق مع الدكتور ربيع خليفة في أن صناعة التابوت تمت في حياته، لذلك جاء في نص الشاهد أنه استثنى الجهة الجنوبية من القبة لقبر ذاته وسبل بقية القبة لتلاوة القرآن والصلاة، كما عمد إلى كتابة التواريخ في النصوص وجدران القبة والنص رقما وكتابة لتدلل على أن القبة والنص والشاهد قد نفذت جميعها في سنة ١١٤٥هـ وهذا يعني أيضا أن التابوت قد تم عمله في السنة نفسها إلا أنه ورغبة منه بعدم ذكر كتابات غير القرآن فلم يذكر على التابوت لا اسمه ولا تاريخ وفاته ولا نسبه كما نشاهد ذلك في التوابيت الأخرى (صورة ١٧).

الخاتمة

في ختام هذا البحث نرجوا أن نكون قد وفقنا في إعطاء صورة متكاملة الجوانب عن هذه القبة الضريحية وما بدخلها من كتابات سواء المنفذة على الجص في جوانب جدران القبة أو المنفذة على الخشب على التابوت الموجود داخل القبة أو المنفذة على الحجر المنقوشة على شاهد القبر والنص التأسيسي.

ويمكن الخروج ببعض النتائج، علما أن البحث بحد ذاته لم يتطرق إليه أحد من الباحثين على حد علمي، مع أن هناك

إشارات إلى الموضوع عند الباحثين لكن لم يتمكن أحد على قراءة الكتابات المنقوشة على جدران القبة أو الشاهد إلا أن المرحوم الدكتور مصطفى شيحه قد أشار إلى بعض أسطرها ولم يقرأها كاملة، ويمكن أن نجملها على النحو التالي:

١- نفذت الكتابات المنقوشة على جدران القبة على الجص وبخط الثلث.

٢- جاءت الآيات القرآنية معبرة عن البناء والذكر، والحث على العمل والصلاة والزكاة، وذكر الله، وقد نفذت بشكل أشطار قصائد شعرية.

٣- أشارت الكتابات التي زينت الجدران أن باني القبة هو الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم حيث تنص على

أكرم بها من قبة شادهـا امروا أجير واضـح المنهج
لقـائم المنصـور مـن لم يـزل إلى خالقـه ملتجـي.

٤- أشارت الكتابات إلى أن هذا البناء مسجدًا حيث نصت على ذلك الكتابات الواقعة في الجهة الغربية والجنوبية

'بنيت لله بناء خالصا لم يزل حقا خيرلأمرها / هي في المسجد هذا زينة / فهي للطاعة بيت وحما'.

٥- ذكر التاريخ أكثر من مرة وبأكثر من صيغة بطريقة حساب الجمل وذلك للتأكيد على التاريخ وهذه هي اشكر الله تعالى دايما – أرخ إلا إنها إذا حقا دليل السعادة، تمت لك الحسنى وزيادة.

٦- أشارت الكتابات إلى بداية البناء والذي كان في شهر رجب عام ١١٤٤ هـ والانتهاء في شعبان ١١٤٥ هـ وذلك حسب النص الوارد في الجانب الشرقي للقبة حيث نص على

'كان ابتداء العمارة في شهر رجب عام أربع وأربعين ومائة وألف وانتهاء في شهر شعبان سنة خمس وأربعين ومائة وألف للهجرة'

وبذلك نجد أن العمل استمر فيها سنة كاملة.

٧- أوضحت الكتابات التي تزين شاهد القبر بأن الشاهد هو الضريح بقوله هذا ضريح وهذه العبارة نجدها كثير ما تتردد على شواهد القبور في اليمن.

٨- سجلت الكتابات اسم المنصور ونسبه وصولاً إلى الإمام القاسم بن محمد المتوفى سنة ١٠٢٩هـ.

٩- ذكرت الكتابات على الشاهد وفاة المنصور باليوم والشهر والسنة حيث نصت على

'نقله روحه الكريم إلى جنات النعيم يوم السبت ٢٣ ربيع الأول سنة إحدى وستين ومائة وألف'.

١٠- وقع كاتب النص في الجهة اليسرى داخل الإطار من نهاية السطر ١١إلى نهاية السطر ١٥، وهو عمل أحمد بن صلاح السودي عفر الله له و لوالديه.

١١- نص النص التأسيسي على الثناء على من عمر المساجد ووسعها للعبادة، وقد وسع المنصور مسجد الأبهر وبنا القبة المتصلة بالمسجد من الجهة الجنوبية.

١٢- برر في النص سبب التوسعة وأنها لما استدعت حاجة الناس إلى مسجد الأبهر للطاعة ولكثرة المصلين فيه فرادى وجماعة.

١٣- أشارت إلى أن الذي أمر بالتوسعة في الجانب العدني (الجنوبي) هو المنصور

١٤- أشارت إلى أن الذي أمر بعمارة القبة هو المنصور حيث نصت في السطر الـ٧ وأمر أيضًا بعمارة قبة نفيسة من عدنيه (جنوبه) متصلة بالمسجد وصرح (صحن) غربي.

١٥- أشارت الكتابات إلى أن هذا البناء سبيل للصلاة وتلاوة القرآن.

١٦- أشارت الكتابات إلى أن المنصور استثنى جزء من القبة في الجهة العدنية من الجهة الشرقية يتسع لقبر ذاته الكريمة بعد وفاته واشترط ذلك بحصول الوفاة

في صنعاء أو قريب منها، وإن توفي في مكان بعيد فيكون ذلك الجزء مسبلا كغيره من أجزاء القبة.

١٧- أشارت الكتابات إلى أن الموضع الذي استثناه لغير ذاته من القبة التي عمرها على ضريح والده (قبة المتوكل في باب السباح) وسبلها لعبادة الله وتلاوة آياته فيكون لمن خلفه من أولاده، واشترط لذلك أن يسلك أولاده طريق آبائه الأبرار وإلا كان مسبلا لذكر الله والصلاة.

١٨- اتضح من خلال الكتابات أن مشيد قبة المتوكل على الله القاسم الواقعة في باب السباح هو المنصور حسين وليس القاسم أبوه، وذلك كما ورد في النص، وأنها كانت مسبلاً لمن خلفه من بعده.

١٩- وقع الكاتب على هذا النص خارج الإطار الأيمن ونص 'عمل الفقير إلى الله الغني أحمد بن صلاح السودي وفقه الله لما يرضيه أمين'.

٢٠- جاءت جميع كتابات التابوت آيات قرآنية فقط إلى جانب الزخارف النباتية من هندسية ونباتية.

الهوامش

١- محمد بن أحمد الحجري، مساجد صنعاء عامرها وموفيها، ط٢، ص٥، (القاهرة، ١٣٩٨هـ).

٢- محمد بن محمد زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، م٢، ق٢، (١٣٧٦هـ)

٣- حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم، تاريخ اليمن عصر الاستقلال، تحقيق عبد الله الحبشي، (تعز، ١٩٩٠)

٤- زبارة،نشر العرف،ص ٥٦٩

٥- الحجري،مساجد صنعاء،٢٢١؛ زبارة، نشر العرف، ٥٩٨؛ وبن القاسم، ٤٦٨

٦- بن القاسم، تاريخ اليمن، ص ٤٦٤

٧- زبارة، نشر العرف،ص ٥٩٨

٨- سورة البقرة آية ٢٤٤

٩- سورة الإسراء آية ٧٨، ٧٩، ٨٠،

١٠- آمال المصري، مدارس بني رسول بمدينة تعز، مخطوط دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٤٦٨.

١١- سورة البقرة آية ٢٥٥

١٢- سورة يونس الآيات ٦٢-٦٤

١٣- سورة النور الآيات ٣٦-٣٨

١٤- سورة التوبة آية ١٨

١٥- سورة المؤمنون الآيات ١ ٤

١٦- سورة الفتح الآيات ٤.١

١٧- سورة البقرة آية ١٢١

١٨- القلقشندى، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٦،ص ١١١ نقلا عن حسن الباشا، 'الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، (القاهرة، ١٩٧٨م) ١٦٧.

١٩- حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ١٦٦-١٦٨

٢٠- حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ٣٨٤

٢١-حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ١٩٤-١٩٧

٢٢- حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ١٩١

٢٣- ابن منظور، لسان العرب، (بيروت، ١٩٥٦) ج٩ ٤٩٠٩

٢٤- أحمد بن صلاح السودي، تخصص هذا الصانع في كتابة شواهد القبور فقد قام بنقش هذا الشاهد في هذه القبة وكذلك النقش التأسيسي بجواره، كما قام هذا الصانع بنقش شاهد قبر المتوكل على الله القاسم بقبته في باب السباح، وفي هذا يمكن القول أن الصانع قد أظهر براعة في النحت والزخرفة وإجادة الخط،ربيع خليفة، توقيعات الصناع والفنانين على الآثار والفنون اليمنية، الأكليل العدد ٣، ٤ سنة، ١٩٨٨م، ٩٤. ٩٥ وفي هذا يشير خليفة إلى أن الصانع لم يوقع في الشاهد، وربما أن الدكتور خليفة لم يشاهد التوقيع وذلك بسبب تغطية أطراف الشاهد بالجص التي أزيل عنها مما ظهر التوقيع.

٢٥- يوجد على الخط أسفل كلمة الممجد كتابة التاريخ رقما هي ١١٤٥

٢٦- يشير النص إلى أن قبة المتوكل المبنية في سنة ١١٣٩هـ بناها المنصور بالله الحسين وذلك بعبارته التي نصت على 'هذا وأما الموضع الذي قد كان استثنا لقبر ذاته من القبة التي عمرها على ضريح والده أعاد الله من بركاته وسبلها لعبادة الله وتلاوة آياته فيكون لمن خلفه من بعده' وهنا نجد أن المؤرخين يشيرون إلى أن المتوكل هو الذي بنا هذه القبة لتكون برسم دفنه عند وفاته (الحجري، مساجد صنعاء عامرها وموفيها، ط ٢،(١٣٩٨هـ)، ٥؛ ابن القاسم، تاريخ اليمن عصر الاستقلال، (تعز، ١٩٩٠)،٤٣٥وربما أن النص هو الأصوب وذلك بسبب أن مؤرخينا ذكروا أنه دفن في قبته الواقعة في باب السبحة، ولذا فإن الباني لها هو المنصور إلا أنها بنيت في عهد أبيه أي في سنة ١١٣٩هـ

٢٧- انظر عن ذلك توقيع الصانع على شاهد القبر فيما سبق

٢٨- سورة النحل آية ١٢